قَسَماً . . . لَنْ يَرْكَعَ الإسْلامُ

حقوق الطبع محفوظة
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

قَسَماً ... لَنْ يَرْكَعَ الإِسْلامُ

عبد العزيز بن ندى العتيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد للَّه رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين؛ نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعدُ:

فقد بدأت البشرية بخلق اللَّه لآدم، وتكونت الشعوب والمجتمعات، وتوالت على هذه الجموع

البشرية مناهج وطرائق مُختلفة، تنافست في عَرض ما لديها لهذا الإنسان، عَبر رحلته الطويلة من لَدُن آدم عليه السلام حَتَّى يومنا هذا، قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

فظهرت المناهج الإغريقية و الطرق الفارسية والرومانية، وغيرها من المناهج والسبل الكثيرة؛ قبلها وبعدها إلى يومنا هذا، تُنافسُ ما عند غيرها بما لديها تنافساً لإغراء وإغواء هذا الإنسان، ولكن سريعاً ما

يَتَكَشَّفُ زيفها وتنتهي، حيث لا تَملأُ فراغاً، ولا يَجد فيها الناس أفراداً وجماعات إشباعاً لرغبات وحاجات الأجساد والأرواح، فالوهم كله فيما بَدَعُوه، وادَّعَوهُ، وَدَعَوا إليه؛ من سَعادَة مَزْعومَة مَا هيَ إلا كَسَرابٍ بقيعة.

* * * * *

هل الإِسْلامُ أَحْرَجَ الأمم والْحَضَارَات؟!

وَمَعَ بُزُوغ شَمْس الإسلام قَدَّمَ هذا الدين للبشرية لوناً مختلفاً في الاعتقاد والأخلاق، ونهجاً جديداً يَرْقَى بالتَّعامُل الإنسانيِّ رُقيًّا فريداً، جعل غيره فاشلًا بَلْ قُلْ عاجزاً عن تَقديْم نَمطٍ يفوق أو يقترب من النموذج الأمثل؛ الذي قدمه محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، بل جعلَ المسافةَ طويلةً، والبونَ شاسعاً بينه وبين أقرب نَموذج يُمثل منهج

النهوض بالبشرية، وَأَبْقى نفسه بعيداً، وسيبقَى بعيداً، إلَى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وهكذا حاصر الإسلام - ذلكم الطريق والمنهاج الذي ارتضاه اللَّه للعالمين - كُلَّ المناهج والسبل في أوكارها، بل شَلَّهَا وَأَذَلَّها حَتَّى تَجمدَتْ من الذُلِّ والصَّغَار في أماكنها، وانطلق الإسلام يستقبل الْجُموعَ البَشَريَّة، واستبشر الناس خيراً ورحَّبوا بهذا الدين، وقال تعالى

مبينا ذلك: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ٢]، واستبدلوا عظيم البيوت بخيوط العنكبوت.

وفي ظل هذه الانطلاقة شرقاً وغرباً ظهر الحقدُ والعداءُ والحسدُ على العرب والمسلمين، ظهر ذلك من المخالفين، وكل من لم يرتضِ هذا الدين، وأخذت صُدورُهُمْ تغلي كَالقُدور على نيْرَانها، وذهبوا للكيد والمكر بهذه الأمة، وَمُحاولة غزوها، والقضاء علَى سِرِّ تفوقها، مُحاولين أن يركع الإسلام أو ينحني أمام الخرافات، والمُعتقدات والديانات المنحرفة.

أيُّها الأنام!
لن يركع الإسلام لأعدائه . . .

أَيُّها المسلمون! لن يركع الإسلام لأعدائه، رَغم تعرضه للهجمات التتارية الشرسة، والصليبية الحاسدة، والصفوية الحاقدة، عبر تاريخه المضيء، حسداً وحقداً من عند أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾ [النساء: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ

يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

أيُّها الأنام!

لن يركع الإسلام لأعدائه . . . والبُشرى للمسلمين

وسينتشر هذا الدينُ الْحَقُّ، والإسلامُ الصحيح في الآفاق رغم كيد الأعداء والمخالفين المنحرفين، قال تعالَى: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٨ - ٩].

العزُّ للإسلام الصحيح وأهله، والذلُّ والصَّغار على من خالفه

أيُّها الأنام!
لن ينحني الإسلام لأعدائه . . .

إنَّ من لحق بالإسلام ودخله بكلمة التوحيد، والنطق بالشهادتين؛ أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأشهد أن محمداً رسول اللَّه، وجد ما يملأ الصدور انشراحاً، ويزيد

الآمال انفساحاً، وكان له العزُّ والسُّؤْدُدُ، ومن أعرض عنه أو سعَى في إيذاء أهله؛ كان نصيبه الذُلُّ والصغارُ والدمارُ، في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]، وتصديق ذلك معلوم فيما جاء عن نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، فقد روى أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٣) بإسناد صحيح من حديث تَميم الدّاري قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك اللَّه**

بيت مدر ولا وبر إلا أدخله اللَّه هذا الدين، بعزِّ عزيزٍ أو بذلِّ ذليلٍ، عزاً يعز اللَّه به الإسلام، وذلًا يذل اللَّه به الكفر».

وكان تَميمٌ الدَّاريِّ يقول: «قد عرفت ذلك في أهل بَيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذُل والصَّغار والجزية». وأخرجه الحاكم في «مستدركه» (٤/ ٤٧٧) وصححه ووافقه الذهبي؛ وهو كما قالا.

* * * * *

أيُّها الأنام!
لن يركع الإسلام لأعدائه. . .

أيُّها المُسلمون! لن يركع الإسلام لأعدائه، الذين سعوا إلى حربه وصدِّ الناس عنه، لقد حاربوه من كل الجهات؛ أعلنوها حربا من خارج البلدان العربية والمسلمة، وتسللوا إلى الداخل أيضاً، حتى وصلوا إلى أبناء المسلمين، فتغلغلوا بين أبناء الأمة، حتى يخلقوا تناغماً بين الفتك بالأمة من الداخل مع حرب

تدور رحاها في الخارج، وقاموا بزرع المنحرفين بنجاح في جَسَد الأُمَّة، وشعروا بسعادة مؤقتة، بما اعتقدوا باطلًا أنه قد حان زمن تحقيق الفوز والنصر على الإسلام، نعم؛ لقد فرحوا في زمن ما وفي مكان ما؛ لقد عاشوا نشوةً - بحسْب اعتقادهم - عندما نجحوا بنشر المعتقدات الباطلة في عقول بعض النَّاس، فكان سمًّا تَسرَّب في تلك الأجساد، إنها محاولات الكسير المهزوم؛ يُحاربون الإسلام من داخله، ويقاتلون الأنام باسم الإسلام، ومازال هؤلاء وأمثالهم

يَحملون أحقادهم، وَيَبُثُّونَ سُمومَهُم السَّبَئِيّةَ الصَّفوية وَالحَرورِيَّةَ.

أيُّها الأنام!
لن يَخضع الإسلام لأعدائه . . .

أيُّها المسلمون! إنَّكم تَرون مَا يَحدثُ للمسلمين!!

يتلقَّى المسلمون ضَرَبات موجعة، الواحدة تلو الأخرى، تُسفكُ فيها الدماءُ، وَتُستباحُ فيها الأَعراضُ؛ في أنحاء وجهات متفرقة من هذا العالم، بهدف القَضَاء علَى الإسلام، ولكن أنّى لَهم ذلك واللَّه تعالى يقول: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

وروى أحمد في «المسند» (٦/ ٤)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٩١، ٩٣) بإسناد صحيح من حديث المقداد بن الأسود يقول: سَمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله اللَّه كلمة الإسلام، بعزِّ عَزيزٍ أَو ذلِّ ذليلٍ، إما يعزهم اللَّه عز وجل فيجعلهم من أهلها أو يذلهم فيدينون لها**».

وأخرجه الحاكم في «المستدركه» (٤/ ٤٧٦) وصححه، ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

أيُّها الأنام!

هزيمة المسلمين لا تعني سقوط الإسلام

أَيُّهَا المسلمون! لقد هُزِمَ المسلمونَ في غزوة أُحُد، تَحت لواءِ مُحمد ﷺ، حاملِ رسالة الإسلام، سَيّد الأوَّليْنَ والآخرين، وحاصره الأحزاب في المدينة، ولكن لم يهزم الإسلام، ولم يركع لأحد، وكانت للمسلمين الانتصارات بعد ذلك، حتَّى بلغ الإسلام ما بلغ، والحمد للَّه وحده على فضله وكرمه وإحسانه.

فإياكم إياكم! الاعتقاد بأن أي هزيمة تقع للمسلمين هنا أو هناك ستشهد نهاية الإسلام الصحيح، بل قد تكون بداية النور وطمس الظلمات، وكل ضربة للموحدين تزيد الإسلام والتوحيد قوَّةً على قوَّةٍ، فتراه ينطلق من جديد ليعلن أن الإسلام لم ولن ينكسر، وأنَّه رايةً لا تركع للعبيد، فمن توقع سقوط الإسلام يوماً ما عليه مراجعة عقله، فإمَّا أنه قادم للتَوِّ من كوكب آخر، أو لم يقرأ التاريخ، بل هو جاهل بتاريخ الدول ومناهج حياة الأمم.

واللَّه نسأل أن ينصر الإسلام والمسلمين، ويخذل أعداء الدين، ويعلي كلمة الموحدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد للَّه رب العالمين.

وكتبه

د. عبد العزيز بن ندَى العتيبي